مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 24 العدد 01 السنة 2024 ص ص391/418
E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

# مجتمع الأغواط في الكتابات الفرنسية في النصف الثاني من القرن19م

## أوجين فرومنتان أنموذجا

# *The community of Laghouat in the French writings in the second half of the 19th century AD*
# *Eugene Fromentin as a model*

د/ فاطمة دجاج
جامعة عمارثليجي - الأغواط
fatimadjadj90@gmail.com

تاريخ الاستلام: 06 /04/ 2023 تاريخ القبول: 19 / 08/ 2023

***Abstract***

*The French orientalist Eugène Fromentin was interested in Algeria during his three trips to it, and his last trip led him to the Algerian desert. Social life in the region, he studied the lifestyles of the residents of Laghouat, the demographics of the city of Laghouat, family life, family structure, and the relationship between men and women. Orientalism in general.*

***Keywords** : Laghouat region; Eugene Fromentin; Laghouat community; summer in the desert; 19th century AD.*

المؤلف المرسل: فاطمة دجاج.
البريد الالكتروني: fatimadjadj90@gmail.com

**الملخص:**

**اهتم المستشرق الفرنسي أوجين فرومنتان بالجزائر خلال رحلاته الثلاث اليها وقد قادته رحلته الأخيرة الى الصحراء الجزائرية فقصد الأغواط وزار بعض قصورها وفي الأغواط شرع في تأليف كتابه صيف في الصحراء والذي يعتبر دراسة معمقة عن الأغواط قدم فيه معلومات مفصلة عن مختلف المجالات ومن الجوانب التي ركز عليها الكاتب الحياة الاجتماعية في المنطقة فدرس أنماط حياة سكان الأغواط والتركيبة السكانية بمدينة الأغواط والحياة الأسرية و بنية الأسرة وعلاقة الرجل بالمرأة كما اهتم بإبراز عادات السكان وتقاليدهم كما عرج على المظاهر الدينية في المنطقة على أن نظرته لهذا المجتمع لا تخرج عن النظرة الاستعلائية للمجتمع الجزائري التي تميزت بها الدراسات الاستشراقية عموما.**

**الكلمات المفتاحية: منطقة الأغواط ؛ أوجين فرومنتان ؛ مجتمع الأغواط ؛ صيف في الصحراء ؛ القرن19م.**

**1. مقدمة:**

تعتبر منطقة الأغواط واحدة من المناطق الصحراوية بالجزائر والتي لفتت انتباه الرحالة الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة خلال القرن 19م، ومن بين هؤلاء نذكر الرحالة والفنان والمستشرق الفرنسي أوجين فرومنتان، الذي زار مدينة الأغواط وضواحيها خلال رحلته الأخيرة الى الجزائر، وبها بدأ تأليف كتابه المعروف بصيف في الصحراء، الذي يعتبر دراسة مستفيضة عن المنطقة تناول فيها مختلف جوانب الحياة. ومنها الحياة الاجتماعية التي فصل في جوانبها بدقة، ولم يترك شاردة ولا واردة عن هذا المجتمع الا وكتب عنها، فتحدث عن أنماط حياة السكان من البدو والرحل، والعلاقة بين الطرفين. والحياة الأسرية وبنية الأسرة بالأغواط، وأدوار أفرادها والعلاقات فيما بينهم. كما عرج على التركيبة السكانية لمدينة الأغواط، وفصل في العناصر التي سكنت المدينة، وبين العلاقة بين العناصر المحلية وبينها وبين العناصر الوافدة على المدينة، ومن بين العادات التي لفتت انتباهه نجد كرم السكان

وحسن الضيافة حتى للأعدائهم. وزيارة أضرحة الأولياء والصالحين، إضافة الى بعض المظاهر الدينية كالصوم والاحتفال بعيد الفطر. ومن هنا يمكن طرح الإشكالية الآتية: بماذا تميزت نظرة فرومنتان لمجتمع الأغواط في النصف الثاني من القرن19م؟

**2. التعريف بالكاتب وكتابه:**

**1.2. التعريف بالكاتب:**

ولد أوجين فرومنتان في 24 أكتوبر 1820م بمدينة لاروشيل، زاول دراسته بكوليج روايال بمسقط رأسه، ثم اتجه سنة 1839م الى باريس لمواصلة دراسته في الحقوق، وتحصل سنة 1843م على شهادة الليسانس. ورغم إصرار والده عليه ليواصل دراسته العليا في الحقوق، الا أن فرومنتان المحب للرسم والأدب كان يفضل دراسة فن الرسم، وتمكن من تنظيم أول معرض له بباريس سنة 1845م، كما قام بنشر بعض القصائد وبذلك تخلى عن دراسة الحقوق، وبمساعدة تشارلز ميشيل صديق عائلته سمح له والده بدراسة الفن، ونظرا لتأثره بالمذهب الرومانتيكي الذي يعتبر الطبيعة ملهمة للأفكار، قرر زيارة الجزائر فزار الجزائر العاصمة سنة1846م، وذهب الى البليدة، وبعد عودته الى باريس سنة 1847م قام بعرض ثلاث لوحات حول الجزائر في صالون الفنانين الفرنسيين، والتي جذبت انتباه الفنانين والنقاد، وتواصل انتاجه الفني عن الجزائر فعرض سنة 1850 احدى عشرة لوحة عن رحلته لبسكرة، وفي سنة 1852م عاد الى الجزائر مرة أخرى، وفي هذه الرحلة قصد الصحراء واستقر في الأغواط، وقدم خلالها نتاج رحلته التي أصبحت مصدرا للأعمال الاستشراقية، وجعلته من أهم المستشرقين الفرسيين.[1]

خلال رحلة فرومنتان الأولى الى الجزائر سنة1846م، أقام بالبليدة من 14 مارس حتى1أفريل، وقام بجولات سياحية الى مضائق الشفة وملیانة والقليعة والمدية، وفي 3 أكتوبر 1847 زار الجزائر للمرة الثانية وقادته هذه الرحلة الى الجزائر العاصمة والبليدة وتيبازة، ثم سافر الى سكيكدة ومنها الى قسنطينة وعين مليلة وباتنة والقنطرة وبسكرة التي وصلها في 23 فيفيري 1848، وأقام بها حتى 17 أفريل، زار خلال هذه الفترة بعض واحات الجنوب مثل سيدي عقبة وطولقة، ثم صعد عائدا باتجاه قسنطينة معرجا على بريكة والوطاية، وقد أنهى رحلته التي استغرقت حوالي ثمانية أشهر بالعودة الى الجزائر في19 ماي1848م[2]

وبعد أربع سنوات أي سنة 1852 م عاد الى الجزائر، وقادته رحلته هذه المرة الى الأغواط، التي وصلها في 3 جوان، بعد أن مر بالمدية وقصر البخاري وعين وسارة والجلفة وسيدي مخلوف، وانطلاقا من الاغواط زار قصري تاجموت وعين ماضي.[3]

### 2.2. التعريف بكتاب صيف في الصحراء:

يعود تاريخ ظهور كتاب صيف في الصحراء الى سنة 1856م، أما كتاب سنة في السهل فظهر بعد ذلك بسنة أي سنة 1857م، ولم يكن فرومنتان كاتبا، لكن رغم ذلك فقد تمكن من التعبير عما لاحظه خلال رحلته، بالرغم من كونه فنانا رسام لا أديب، ويحتوي الكتابين على لوحات ونصوص رحلته الى الجزائر، التي زارها عدة مرات وأعجب بها، وهو ما دفعه لتسجيلها.

كتابه صيف في الصحراء تحدث فيه عن مدينة الأغواط بنظرة رسام لا كاتب حيث يقول:" أنا أشعر بكل نقص فيما ألفت ولكنني لا أستطيع فعل شيء الآن ...تبدو كتاباتي مفصولة عن بعضها بعض كأنها لوحات تحتاج الى أن أربط بينها، لم أشأ أن أخدع نفسي، أجدني أتصرف كرسام على الرغم مني، بيد أنني لا أشك في وجود جو

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

عامر يلم شعثها، ولاسيما جو من الحرارة والقوة".[4] ومع ذلك استطاع الكاتب التعبير عما لاحظه وشهده بالقلم، وذلك يرجع الى صعوبة رسم كل ذلك بالفرشاة، حيث يقول:" بدا لي وأنا أنجز الكتابين أن أقارن بين طريقتين للتعبير بدتا لي متشابهتين قليلا، وكان علي أن أعرف اذا كانت آليتهما هي نفسها أو تختلفان، وأن أعرف مصير أفكاري وأنا أنقلهما من عالم الأشكال والألوان الى عالم الكلمات، هذه الفرصة لن تتأتى الا نادرا".[5]

لم يترك أوجين فرومنتان من شاردة ولا واردة الا كتب عنها، وبكثير من التفصيل والدقة، سواء تعلق ذلك بالجانب الطبيعي أو البشري أو الثقافي أو الديني أو الاقتصادي، خاصة أنه زار الجزائر ثلاث مرات ورحلته الأخير سنة1852م التي قادته الى الأغواط تعد أطولها حيث دامت تسعة أشهر.

قسم فرومنتان كتابه صيف في الصحراء الى ثلاث محاور:

**المحور الأول: بعنوان من المدية الى الأغواط**

تحدث فيه بالتفصيل عن المناطق التي مر بها خلال رحلته من المدية الى الأغواط، من هذه المناطق المدية وبوغار والجلفة وعين الحمارة وسيدي مخلوف وصولا الى الأغواط.

**المحور الثاني: بعنوان الأغواط**

تحدث فيه عن كل ما لاحظه وشهده وعاشه في مدينة الأغواط[6] منذ وصوله اليها في 3جوان1853م الى غاية مغادرته لها الى عين ماضي[7] وتاجموت[8] في أول جويلية

1853م، قدم فيه ملاحظاته حول الجوانب الطبيعية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية والاقتصادية في مدينة وواحة الأغواط.

**المحور الثالث: حول تاجموت وعين ماضي**

تحدث فيه عن زيارته لقصري عين ماضي وتاجموت، ثم عودته الى الأغواط التي تشكل نهاية رحلته في منطقة الأغواط، وقدم فيه ملاحظات مفصلة ومعلومات هامة حول مختلف مجالات الحياة في القصرين.[9]

**3. فرومنتان ومجتمع الأغواط:**

**3.1 . نظرة فرومنتان لنمط حياة السكان:**

حسب ما جاء في كتاب فرومنتان فان مجتمع الأغواط يتميز بنوعين من أنماط الحياة، النوع الأول من السكان هم البدو الرحل، الذين يعيشون تحت الخيم، ويمارسون الرعي، يعتمد هذا النمط المعيشي على التنقل والترحال من مكان لآخر، بحثا عن مواطن الكلأ والماء لقطعان الماشية، التي تعتبر مصدر رزق أساسي للقبائل البدوية في الأغواط، بحيث تملك الكثير من قطعان الأغنام والماعز والجمال والخيول. وطبيعة حياتهم هذه فرضت عليهم نوعا معينا من المساكن، يسهل نقله خلال رحلاتهم المستمرة، وهو ما يعرف بالخيمة، التي تصنع في منطقة الأغواط من مزيج من صوف الأغنام وشعر الماعز، وتتميز باللون الأسود الداكن عادة. ومن بين القبائل التي ذكرها فرومنتان، وتميزت بتحركاتها في مساحات شاسعة من الصحراء[10] نجد:

**قبيلة الأرباع**[11]: ذكر فرومنتان أن هذه القبيلة تخيم في نواحي الأغواط، وهي من القبائل القوية والشجاعة والأكثر عددا، وربما هي الأكثر أهمية في الصحراء، ويتميز فرسانها بالشجاعة والاقدام، وامتلاكهم للأسلحة، لأن حياتهم محفوفة

بالمخاطر، أحيانا تعتدي على قبائل أخرى من أجل السلب، وفي أكثر الحالات تقيم تحالفات مع القبائل الأخرى في المنطقة[12].

وقد عرض فرومنتان صورة لتنقل قبيلة الأرباع أبرز من خلالها النظام الاجتماعي القبلي، حيث يتقدم القافلة شيخ القبيلة وأسرته، ثم الفرسان الذين مهمتهم خوض الحروب التي تدخلها قبيلتهم، ثم يسير في المؤخرة الفقراء والخدم الذين هم عادة من الزنوج، أما النساء باستثناء الحريم اللواتي يسافرن في هوادج مغلقة فكل النساء يسافرن ماشيات على الأقدام يتبعهن أولادهن.[13]

وقدم وصفا مفصلا لهذه القافلة خلال تنقلها كما يلي:" ان القافلة كانت كثيرة العدد، والفرسان يأتون في المقدمة في فصيلة منظمة، يرفعون راية مشكلة من ثلاثة ألوان أحمر وأخضر وأصفر بثلاث كويرات وهلال في نهاية السارية، تتبعهم أربعة جمال حاملة أربعة عطاطيش[14] تترنح بألوان زاهية يركبها شيخ القبيلة وأفراد أسرته، يليهم قطيع من الجمال يقوده جمالة مرتجلون، وفي أقصى الوراء قطيع مترامي الأطراف من الغنم والماعز الأسود مقسم الى قطعان صغيرة، حيث كل قطيع تقوده امرأة أو زنجي، وكلاهما يحرسه رجل يركب حصانا، مدعم على الجوانب بالكلاب. الفرسان كانوا يحملون سلاح الحرب، ويلبسون الزي الحربي، متزينين مجهزين وكأنهم في مهرجان فروسية، ببنادق طويلة ذات كبسولات فضية معلقة بحمالة البندقية عبر الأكتاف أو موضوعة أفقيا على السرج أو يمسكها الفارس باليد اليمنى. بعضهم يضع على رأسه مظلة مخروطية من السعف مزينة بريش أسود، وآخرون يضعون على رؤوسهم بطريقة غريبة قولباقات عالية مصنوعة من

ريش ذكر النعام. والنطاق مجهز بالمسدسات والخناجر، والسروال الواسع بشكلها التركي، هؤلاء الفرسان يركبون خيولا كبيرة مرتدية الحرير، ويرفعون راية ملونة بالأحمر والبرتقالي والأخضر أو الأزرق. ويظهر بعدهم الموسيقيون راجلين يسيرون في صفين ممسكين بألجمة خيولهم، وآخرون يقرعون بمخاطف من الخشب على أقداح معدنية، وآخرون ينفخون في مزامير طويلة. وتظهر بعد ذلك الجمال محملة بالخيم وأواني المطبخ ومنقولات كل أسرة مرفوقة بالنساء والأطفال وبعض الخدم".[15]

وأضاف قائلا:" الأطفال يركبون في الجزء الخلفي للجمل تقريبا فوق الذيل، بعضهم عراة يجلسون فوق الأثاث، وأحيانا مختفين في طبق كبير كما لو كانوا في مهد، باستثناء الحريم اللواتي يسافرن في الهودج، باقي النساء تسير على الأقدام على جناحي القافلة بدون حجاب، ومغازلهن على الحزام ويغزلن الصوف. متبوعات بالفتيات الصغيرات، والنساء المسنات تستعملن العصي للسير، ويركب الشيوخ على الحمير، والزنوج والفرسان يقفون وسط الحشود، ويعطون الأوامر لأولئك الذين كانوا في الأخير ليجلبوا القطعان".[16]

**قبيلة أولاد سيدي عطاء الله:** سميت بذلك نسبة لجدهم سيدي عطاء الله[17] وهي قبيلة صغيرة تتكون من مئة خيمة، تخيم عادة بالقرب من تاجموت، أين يملك البعض منهم منازل يضعون بها حبوبهم، كما أن ضريح جدهم وزاويتهم موجودة هناك، وهم رحالة ومربو ماشية.[18]

والنوع الثاني من أنماط حياة سكان الأغواط الذي تحدث عنه فرومنتان هم المستقرون في المدن والقصور[19] بشكل دائم، حيث يتوفر الماء مما يمكنهم من ممارسة الزراعة في الحدائق. وبالتالي شكلت القصور المجال السكني لمزارعي البساتين وكبار التجار، الذين يعتمدون على القوافل التجارية عبر الصحراء، فالقصور عبارة

عن قرى محصنة، وهي ملاذ سكان الصحراء غير الرحل، أو البدو نصف المستقرين ويطلق على سكان هذه المدن الصغيرة أو القرى التي بنيت في الواحات اسم القصوريون، وهذا ينطبق على قصر الأغواط، وعين ماضي وتاجموت. وان هذين الصنفين يكونان مجتمعا متآلفا[20] متوافقا على المصلحة.[21]

**3.2. نظرة فرومنتان للتركيبة السكانية لمدينة الأغواط**

حسب فرومنتان يسكن مدينة الأغواط قبيلتان هما: أولاد سرغين[22] في الغرب والأحلاف[23] في الشرق، حيث صور العلاقة بينهما على أنها علاقة سيئة، ميزها الصراع المستمر بين الطرفين، وأطلق عليهما اسم الجيران الأعداء في محاولة منه لإظهار أن مجتمع الأغواط قبل الاحتلال ميزه الصراع والتناحر والتنافر بين القبائل، واستعدادهما الدائم للحرب، وقد كان لهما علاقات تحالف وتعاون مع قبيلة الأرباع البدوية، التي كانت تتدخل في صراعاتهما في كل مرة لصالح أحد الأطراف.[24]

وإلى جانب هاتان القبيلتان عرفت مدينة الأغواط استقرار مجموعات سكانية أخرى بها، مثل الميزابيون القادمون من غرداية، والذين مارسوا التجارة بالأغواط، حيث كانوا يملكون مقاهي وأكشاك الخردوات، و محلات تجارية صغيرة لتفصيل وخياطة الأقمشة، لديهم صفات تمكن من معرفتهم كالبشرة البيضاء والعيون البيضاوية الجميلة وقليل من السمنة، وهم مهذبين ولطيفون مع الغرباء، ويتميزون بالصدق والأمانة في ممارساتهم التجارية[25].كما نجد عناصر من قبيلة أولاد نايل، سكنت الأغواط و كان لهم حي خاص بهم في المدينة وقد أورد وصفا لامرأتين نائليتين كانتا تقيمان في مدينة الأغواط وتحدث عن تعرضهما للسلب ثم قتلتا من طرف الجنود الفرنسيين خلال احتلال المدينة.[26]

كما ذكر فرومنتان أن اليهود[27] كانوا مستقرين بالأغواط، يمارسون صياغة المجوهرات في دكاكين خاصة بهم تقع في أماكن معزولة ومنزوية بقوله:" وهناك بعض المغازات في الأماكن المنزوية في المدينة وهي أماكن خاصة باليهود المقيمين بالأغواط حيث يمارسون فيها صياغة المجوهرات يرتدون عمامات سوداء نساءهن يضعن غطاء على رؤوسهن".[28] بل ذهب الى القول بأن حرفة الصياغة كانت محتكرة من طرفهم وهذا ما يؤكده قوله:" هناك يهوديا في الأغواط ينتج ويصنع كل مجوهرات الأغواط". في الوقت الذي يحاول فيه أن يتهم السكان بكرههم لممارسة أي نشاط صناعي أو تجاري ولعل هذا من أجل تبرير السياسة الاستعمارية الفرنسية في المنطقة.[29]

والعنصر الآخر الذي سكن الأغواط وتحدث عنه فرومنتان هو العنصر الزنوجي[30] حيث ذكر بأهم كانوا يعملون في منازل القادة والأعيان وعند قادة القبائل البدوية كالأرباع، بينما عملت الزنجيات في منازل وخيم الأثرياء[31]. وانضاف الى كل هؤلاء العنصر الأوروبي الذي وصل مع الاحتلال الفرنسي للمنطقة 1852م، فإلى جانب العسكريين وصلت فئات المستوطنين الى الأغواط، واستحوذوا على الأراضي الزراعية والعقارات، وانضاف إليهم رجال الدين من الرهبان والراهبات[32].

والملاحظ أن فرومنتان اهتم بإعطاء معلومات وتفاصيل حول الأنشطة المختلفة التي تقوم بها المجموعات السكانية بالمدينة باستثناء العنصر المحلي الذي ركز فقط على اظهار روح العداء والصراع التي تميز العلاقة بين أولاد سرغين والأحلاف ووصفه لهم بالخمول والكسل وكره العمل أيا كان نوعه في محاولة منه لتبرير الاحتلال الفرنسي للمنطقة وللسياسة الفرنسية بها كتشجيع الهجرة وانتزاع الممتلكات من أصحابها لصالح الأوروبيين.

**3.3. نظرة فرومنتان للضيافة والسلوكيات المصاحبة لها**

من بين ما لاحظه فرومنتان عن الحياة الاجتماعية أن الضيافة العربية صورة حية لعمق التقاليد ورسوخ الأصالة العربية، التي اصطبغت بصدق التعامل وبساطة

الحياة، حيث لم تدع الكاتب يمر عليها دون أن يتأثر بها ويتفاعل معها، وهو يعترف أن العرب أعطوه درسا رفيعا في الكرم وحسن الضيافة، والاهتمام الخاص بالأجنبي، ليس بموجب واجبات اجتماعية، ولكن بموجب وصية ربانية باعتبار أن المسافر رسول الاله".[33]

ومما لفت انتباهه أن القصور في منطقة الأغواط تحتوي على دور للضياف تمثل الفندق أو النزل، من أجل ايواء الغرباء واطعامهم، حيث يتكفل السكان بالحفاظ عليها ورعاية الضيوف الأجانب، الذين ليس لديهم أصدقاء أو معارف في المدينة، حيث يقيمون في منزل مشترك خلال مرورهم بالقصر، يتناول فيها الضيوف الطعام وينامون بها. وقد وصف "فرومنتان" دار الضياف بعين ماضي قائلا:" منزل جميل المظهر بهيئة دار الضياف الفناء كبير وخيولنا تسكن في اسطبلات فسيحة ودرج مبني بكيفية جيدة يؤدي الى الطابق العلوي حيث يخصص لنا في البهو مكان للراحة في النهار والسطح جميل مفروش بالبسط في الليل.[34] "

كما أن فرومنتان سجل بعض السلوكيات الاجتماعية الإيجابية خلال رحلته واحتكاكه بالسكان ومن بين ما أثار اعجابه وانبهاره هو الكرم والسخاء الكبيرين للسكان، الذين يحرصون على اكرام الضيف وخدمته على أحسن وجه، فيقدمون أفضل ما أمكنهم له، ويعاملونه بلطف كبير، فالعربي يعرف تماما كيف يستقبل ضيوفه بأكبر قدر من الترحيب وعلى أكمل وجه. وقد ذكر "فرومنتان" أن قايد تاجموت عندما استقبله، كانت تبدو عليه علامات الابتهاج والفرحة والسرور، وهذا ما رآه في تعابير وجهه المرحة وأسلوبه المبتهج [35]. كما استضافه قايد عين ماضي حيث جاء بنفسه يرافق العشاء يتبعه موكب من الأصدقاء والخدم.[36]

وتحدث عن الضيافة التي تلقاها لدى القايد السابق ذكره خلال زيارته لتاجموت في شهر جوان من سنة 1853م، واستعرض فرومنتان الضيفة وطعامها وكيفية تقديمها وخدمة الضيف قائلا: "الضيفة هي طعام الضيافة، و مكوناتها سطرتها العادة و الأعراف فأصبحت علامة من علامات اللباقة...وتتكون حسب التقاليد الرسمية للولائم من: أولا وقبل كل شيء كبش أو كبشين مشويين يؤتى بهما مرفوعين على خاروق طويل واللحم يتقاطر دهنا وشحما، و على الزربية طبق خشبي بطول الكبش... وصاحب الدار هو أول من يقطع أول شريحة و أحسنها ليقدمها لأكبر الضيوف مكانة ووجاهة...يقدم الكبش المشوي مع الرغيف المصنوع من الزبدة، ثم تأتي الأطباق الأخرى المطبوخة باللحم والفواكه المجففة بصلصات متبلة بالفلفل الأحمر، ليأتي الكسكس في طبق خشبي كبير أما المشروبات فالماء والحليب واللبن[37] ." وبين ان السكان يلتزمون بآداب الأكل التي أقرها الاسلام خلال الضيافة، كغسل الأيدي قبل وبعد الطعام، وقول بسم الله قبل البدء في الأكل، وقول الحمد لله بعد الانتهاء منه، وعدم الأكل من وسط الطعام، وعدم التنفس في إيناء الماء، وينهون طعامهم بتنظيف الفم بالمضمضة بالماء، وهذا ما لاحظه "فرومنتان خلال تناول السكان للطعام وأرجعها الى تمسك السكان بتعاليم دينهم والحرص على الالتزام بها في قوله :"لا تعتمد آدابهم على اتفاقيات ولكن على مبادئ دينية، وهم يمارسونها بالاحترام الذي يخضعون به كل ما يمس الأشياء المقدسة ويطبقونها كعمل تعبدي ."[38]

وعليه فان التزام سكان الأغواط بهذه الآداب يدل على انسانيتهم، وقمة هذه الانسانية هو تمسكهم بالقيم العليا لآداب الضيافة، وهذا ما تجلى في سلوكياتهم ومعاملتهم للزائرين والمسافرين الأجانب، وهذا ناتج عن اقتدائهم بسيدنا ابراهيم عليه السلام ثم سيدنا محمد صل الله عليه وسلم، فيما يتعلق بآداب الضيافة.

ومن جهة أخرى فان فرص اجتماع الكاتب بالعرب حول مائدة الطعام مكنته من اكتشاف سلوكياتهم وتصرفاتهم، التي كانت تقلقه وتضايقه، وتنفر منها نفسه لأنها في

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

نظره تتنافى مع الذوق الرفيع والسلوك الحضاري. يرصد لضيفة تاجموت مشاهد كثيرة وفي احدى صوره يعبر عن اشمئزازه من عادات الأكل لاسيما ما تعلق منها بقواعد حفظ الصحة العام فيقول:" قدمنا للقائد شمعة وخبزا يعود تاريخه الى زمن وجودنا في الأغواط، وحبتي ليمون، وقدحا مملوء بالقهوة، شكلنا دائرة وبدأ العدد يزداد ويكثر، أخذ القائد احدى الليمونتين ووضع الأخرى جانبا، أحدث فيها ثقبا صغيرا عليها بشفته وببساطة استخرج قليلا من العصير ثم مررها الى من بجواره، ومن فم الى فم حتى مرت حبة الليمون على كل من هم في الدائرة، ثم رجعت الى القائد ولم يبق فيها الا القشرة بين يديه، حيث وضعها بعناية في قلمونة برنوسه كما لو أنه يريد أن يستعملها لأكثر من وليمة. تستطيع أن تتصور وسط الدائرة أحد أفضل الرهانات لضيوفنا، والذين يظهرون أفضل رضع ".[39] وبعد أن وصف الحفل الليلي الذي أقامه القائد على شرفهم، رسم صورة تبرز شراهة العرب وشهوتهم العارمة في الأكل بقوله:" أميز من مكاني الشكل المظلم لخروف كبير، يديرونه وسط اللهيب، وعلى الجوانب وجوه الطباخين مائلة بحذر وبهيئة متلهفة، يبدو عليهم الطمع مما يجعلني أتساءل إذا كانوا هنا من أجل شواء الخروف أو من أجل أكله".[40]

ويضيف إذا كان شيء يساوي قناعة وتعفف العرب، فهو شراهتهم وبطونهم العجيبة، التي تارة لا تأكل ما يرضي طفلا، وتارة تشفي غليلها تماما بملء ما يكتم أنفاس غول، لا شيء يستطيع رد عجلة وسرعة الفكين، اللعب السريع للأصابع ممزقة اللحم، أو مكورة حبات الكسكس، وشراهة الوجوه المخيفة، وهاوي شرب القهوة يفعل الأعاجيب، ولا يتحكم في أسنانه أبدا مثل لاعب ماهر .... يرمي لقمة وراء لقمة في فمه المفتوح، فهو لا يأكل أبدا وكأنه يشرب".[41]

ان هذه النظرة السلبية ترجع الى نظرة الاستعلاء والتكبر والنظرة السلبية للآخر، التي تبناها المستشرقون في كتاباتهم تجاه الشرق عموما، وهنا يحاول تشويه العربي من خلال التركيز على مثل هذه السلوكيات ليظهر للأوروبي في صورة مقززة.

**3.4. نظرة فرومنتان للعلاقات الأسرية بالأغواط**

اهتم فرومنتان في كتابه بالأسرة وفصل في دور كل فرد فيها كما يلي:

**-الرجل:**

تحدث فرومنتان عن الحياة اليومية للرجل سواء القصوري أو البدوي، وفي منظوره ان الرجل العربي يقضي نصف حياته في منزله المتنقل كسولا خاملا لا يقوم بأي عمل، أما النصف الآخر من حياته فيقضيه مسافرا متنقلا.[42] وإذا كان حضريا يسكن المدينة فهو غائب عن المنزل طوال اليوم[43]، ولا يجتمع بأسرته الا في الليل من أجل تناول وجبة العشاء أو في أوقات نادرة. وعبر عن ذلك قائلا:" اليوم يمر بصمت كبير، الزوج غائب والمرأة تعمل والصغار نائمين، في المساء تضاء المواقد وتعد الوجبة، ويدخل الزوج ليأكل، وتجد العائلة لحظة لتجتمع".[44]

كما أن فرومنتان بين أن الرجل غائب عن بيته وبعيد عن أسرته دون أن يذكر سبب ذلك، والذي يرجع في الحقيقة الى قساوة الطبيعة وجفاف المناخ اللذان يضطرانه للقيام بأعمال كثيرة وشاقة، منها البحث المستمر عن مواطن الماء والكلأ للمواشي، لأنها المصدر الوحيد الذي يؤمن له حياته، وما يتطلبه ذلك من نشاط رعوي دائم[45]. اضافة الى ممارسة الصيد كصيد النعام والغزلان للحصول على اللحوم خاصة بالنسبة للعائلات التي تعتمد على الصيد من أجل بيعه أو مقايضته بما يحتاجونه[46]. وقدم مشهدا يوضح تحلق أفراد العائلة حول الموقد، والأطفال الصغار نائمون، وفي هذا الصمت يصل الصياد يحمل صيده[47]. أما إذا كان حضريا فانه يغيب عن منزله طوال اليوم منهمكا في عمله الفلاحي ببستانه أو حقله عساه أن يعود الى أسرته في آخر اليوم بما تسد به رمقها[48].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

وفي كثير من المواقف يذكر أن الرجال لا يقومون بأي شيء، يبحثون عن الظل فقط يجلسون أو ينامون تحت القناطر وفي ظل الشوارع، ومن هنا بدى له أن دور الرجل أسهل من المرأة، حيث منح دورا بين الزوج والسيد[49]. ولعل ما رآه فرومنتان في الأغواط لا ينطبق على كل فصول السنة، بل يقتصر على فصل الصيف بسبب ارتفاع درجات الحرارة في نهار الصيف الطويل، مما يؤدي بالسكان الى الخمول والرغبة في النوم تحت الظل لاتقاء لفحات الشمس وأشعة الضوء المفرطة.[50] وقد عبر عن هذه الظاهرة بقوله:" جموع من الناس على اختلاف أعمارهم يصطفون تحت الجدران جالسين أو راقدين، وقد سلبت منهم الحركة مثل أسوار أو تماثيل معجونة من الطين يركنون الى الراحة".[51] ويضيف في مكان آخر: "ويستهويهم النوم فيصبح عادتهم المفضلة حيث تجد البعض ينامون متكورين على أنفسهم يغطون في سبات عميق وقد تشكلت أجسامهم في وضعيات وهيئات مختلفة."[52]

والظاهر أنه استغل هذا الموقف ليثبت أن السكان يحبون الركون للراحة طيلة النهار دون القيام بأي شيء، ليلصق بهم تهمة الكسل والخمول وكرههم للعمل، ذلك أن هذ الوضع لا يدوم طويلا حيث بين أن الحركة تعود للمدينة بمجرد انخفاض درجات الحرارة بناء على قوله:" ويحل المساء ليعيد الحياة من جديد، ويبعث الروح في النفوس، فتشهد المدينة حركة دائبة، وتفتح الدكاكين أبوابها، وتستقبل المقاهي زوارها ومرتاديها... وترسم الساحة مشهدا حيويا، حيث تكون بها العين والساقية آهلتين بالخيول والحمير ومختلف الفئات من الناس التي تملأ براميلها وقربها السوداء بالماء، فلا تتوقف حركة الذهاب والإياب من الساعة الثالثة مساء حتى الليل.[53]

وعليه فان نظرة فرومنتان هذه تعود الى جهله بالواقع الاجتماعي الذي يصوره، فهو لا يعرف شيئا عن عادات وسلوكيات الناس، وأوقات عملهم التي تخضع في معظم الأحيان للظروف البيئية وهي هنا الظروف المناخية الصحراوية.

**-المرأة:**

ذكر فرومنتان أن المرأة تقوم بأدوار كثيرة وبواجبات مرهقة، فهي التي ترعى الأسرة، فتقوم بدور الأمومة وتربية الأطفال، ومزاولة التدبير المنزلي بمهامه المختلفة.[54] وهي بالإضافة الى ذلك تشارك زوجها في رعي الأغنام،[55] وسياسة الخيول،[56] وجلب الماء في الأواني والقرب.[57] وهي وحدها التي تتولى نسج وحياكة الأفرشة، ومعظم لباس الرجل المتمثل في البرنوس والقشابية والحايك .[58] وقد تظاهر بالشفقة على حالها، والاستياء من الوضع الذي تعيشه، وذلك لأن المرأة تعيش وضعية صعبة، بسبب الظروف التي يمنحها لها الزواج، واصفا وضعيتها بقوله:"...هي في الوقت نفسه الأم والحاضنة، أنها العاملة والحرفية، والخادمة وسائسة الخيل، وتقريبا بهيمة المنزل".[59] وأضاف: "انه ليس ثمة تبعات يتحملها الرجل في علاقته بالمرأة سوى أن يمنحها الغذاء والكساء والمسكن، انها علاقة أشبه بعلاقة التابع بالمتبوع والعبد بالسيد".[60]

إضافة الى هذا فقد أبدى استغرابه من الزواج المبكر للفتيات، ففي نظره أنه ليس هناك سن وسط بين المرأة والطفلة في هذا المجتمع، فالطفلة الصغيرة تعتبر شابة، ويمكن أن تخطب في سن العاشرة، وتتزوج في سن الثانية عشر، ولستة عشر سنة يمكن أن تكون المرأة أما لثلاث مرات.[61]

الى جانب الأعمال المنزلية تقوم المرأة بممارسة حرفة النسيج حيث استعرض فرومنتان عملية النسيج التي تعتمدها المرأة الأغواطية عندما دخل أحد المنازل في الأغواط قائلا: "...نسمع قليلا من الفوضى تأتي من الغرف، و ضرب خفيف ثم نرى...بمقياس الباب أعمدة عريضة واقفة في إطار غريب، كلها مخططة بالخيوط مشدودة بقوة، حيث تعمل أصابع سمراء، و تمرر أداة تشبه المشط من الحديد، ووراء هذا الستار من الخيوط البيضاء شكل رائع من العاملات، يجلسن وينسجن

يصنعن الأشياء الأساسية التي يحتاجونها والكل متحد، أحيانا العديد من النساء يجلسن جنبا إلى جنب يشغلن نفس القطعة من النسيج، و التي تمتد على طول الغرفة، وتجلس النساء وراءه والظهر إلى الجدار، والأيدي تنزلق داخل اللحمة أو تضرب النسيج لحصره وضغطه بشدة وطعامهن على الركبتان". وأضاف قائلا: "والنساء الكبيرات في السن يجلسن على حدى و يمشطن الصوف و الفتيات الصغيرات يجلسن قرب أمهاتهن يغزلن الصوف"[62]

وهكذا فقد صور فرومنتان المرأة الأغواطية على أنها مسلوبة الإرادة، مغلوب على أمرها، حبيسة البيت الزوجية، وتقوم بأعمال شاقة، وأكبر من طاقتها، وأن كل الأعباء والمسؤوليات ملقاة على عاتقها، بعكس الزوج الذي يلعب دور السيد والوصي على المرأة، وهذه النظرة انما تعود لجهله بتقاليد وعادات المجتمع وتعاليم الإسلام التي حددت دور كل من الرجل والمرأة في الأسرة.

**-الأطفال:**

تحدث فرومنتان عن الأطفال في عدة مواقف، فوصف حالتهم المعيشية والصحية وتحدث عن علاقاتهم بأهليهم، والمهام التي يقومون بها لمساعدتهم. ومما لاحظه في مدينة الأغواط أن الأطفال الصغار من البنين والبنات يكلفون بجلب الماء الى ذويهم، حيث يضعون الأواني المملوءة على رؤوسهم، أما القرب فتحمل على الظهور أو فوق الحمير الصغيرة.[63] ناهيك عن أن البنات يعملن لفترات أطول من البنين، ويتحملن عبئا مزدوجا حيث يقمن بخدمات خارج المنزل، ثم يعدن ليجدن الواجبات المنزلية في انتظارهن، ومن أشقها مشاركة أمهاتهن في حياكة ونسج الأثواب الصوفية والأغطية والأفرشة وغيرها، مقابل أجر زهيد تحصل عليه الأسرة جراء بيعها لبعض هذه الألبسة خصوصا البرنوس.[64]

ويكشف الكاتب من خلال رحلته عن الحالة المعيشية المتردية للأطفال الصغار بهذه المدينة التي اكتسحتها الحرب، وتركتها خرابا وعرضت سكانها الى فقر مدقع، انعكس سلبا على الأطفال ويتضح ذلك من قوله:" يجري الأطفال الصغار مرتدين قمصانا قصيرة جدا، أو طويلة جدا منسدلة فوق أعقابهم، لهم بطون ضخمة وأرجل نحيفة وسحنة مغبرة...وحزمة ذباب مكدسة تتجمع في أركان العيون".[65]

كما لاحظ فرومنتان بأن الأطفال لا يشكلون جزء من تجمعات الرجال في الشوارع، ونادرا ما يخرجون فقط عند الباب، وسرعان ما يختفون إذا ظهر شخص غريب، كما أنه نادرا ما يتواجد الولد الشاب في وسط الأطفال الصغار.[66]

وفي أوقات الفراغ لاحظ فرومنتان أن الشبان يلتقون في المقهى، يستمعون لعزف الناي والرقص، وتبقى المقاهي مفتوحة لوقت متأخر من الليل والبعض يدخن التبغ ويشربون القهوة، أما ما لفت انتباهه[67] أن التدخين يعتبر عيبا في مجتمع الأغواط، لذا لا يستخدمون التبغ، باستثناء بعض الشباب الذين يوصفون بالطيش يدخنون التكروري.[68]

**3.5. نظرة فرومنتان للباس ومكملاته:**

اهتم فرومنتان باللباس فتحدث عن لباس النساء والرجال والأطفال، فذكر مختلف القطع والمواد المصنوعة منها، ومما لاحظه أن الجميع رجالا ونساء يشتركون في ارتداء اللباس الفضفاض[69]، وهو ما يوضحه قوله:" ان العرب ما يزالون يحفظون عادات الشعوب الأولى، ويستطيعون كذلك وأفضل من أي شعب آخر، أن يحفظوا التشابه مع الشعوب القديمة، ليس فقط في آدابهم بل كذلك في زيهم، هذا الزي الذي يمتلك امتيازا مضاعفا، إنه أكثر جمالا من الزي اليوناني وهو أكثر محلية، وظل الشعب العربي بسيطا في كل شيء، وهو جميل لأنه دون أن يتعرى ويتجرد، حقق التجرد تقريبا كاملا".[70]

وقد وصف لباس المرأة بمدينة الأغواط وعين ماضي وعموما يتكون لباس المرأة حسب ما ذكره من القطع التالية:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

**مناديل الرأس:** تغطي النساء والفتيات شعورهن بمناديل صغيرة تدعى المحرمة.[71]

**الحولي:** قطعة قماش من القطن، تضعها المرأة فوق الرأس، بحيث تثبتها تحت العمامة، وتحيط بالوجه، تشد بواسطة دبوس فوق الصدر، وتسقط على طول الذراعين ومن الوراء، وتلف الجسم حتى القدمين، تعطي مظهر المعطف، وأثناء الحركة تظهر على الحولي تموجات تعطي للمرأة أناقة كبيرة.

**العمامة:** تضع نساء الأغواط على رؤوسهن العمامة، وهي من القماش أو القطن باللون الأسود أو باللون الأبيض الناصع، ومخططة على الحافة وأحيانا مهدبة، تلف العمامة على الطريقة التركية، تنزل على الأذنين ومنخفضة من الأمام تلمس الحاجبين، وتعطي شكلا جميلا بحيث تترك مهملة.

-**الملحفة:** الملحفة قطعة من القماش غير المخيط وغير مفصلة، من القماش الخشن أو من الحرير بألوان مختلفة، تلفها المرأة حول جسدها لتشكل منها فستانا وتشد في الوسط بحزام، وتثبت فوق الكتفين بأبازيم، ومشبكة في أعلى الصدر، تبقى الأذرع عارية الى الكتف.

**الحايك:** هو نسيج قطني خفيف بلون غير واضح بين الأبيض والأصفر والرمادي، يشبه تقريبا الزي اليوناني مخيط على الصدر والكتفين، ومثبت في وسط الجسد بحزام، تلبسه فوق الملحفة ليغطيها بالكامل من الرأس إلى القدمين.

**المحزمة:** تشد المرأة الملحفة والحايك وسطها بحزام، لتمنعها من التحرك بفعل الرياح، ولإبراز شكل جسده، وذلك بضغط الملحفة على الخصر بهذا الحزام، ويتميز بتعدد ألوانه، ويمنح المرأة جمالا، ويزيد من أناقتها.

**الحذاء:** تنتعل المرأة الخف المصنوع من الجلد، مخاط بالحرير الملون بالأحمر المغربي، وتشبه حذاء نصف آسيوية، ونصف يونانية.[72]

وذكر أثر الاحتلال الفرنسي على الوضعية الاجتماعية للمرأة، والذي انعكس على ملابسها فالمرأة الفقيرة البائسة ترتدي لباسا قديما وأطمارا بالية، كما أنه يكون تارة شفاف، وتارة قصير، ومرة مجسما لأعضاء جسدها، وبالمقابل لفت انتباهه أن النساء في عين ماضي يرتدين الملحفة ومستورات بإحكام، ويرجع السبب في ذلك الى ورعهن وتدينهن الشديد الذي فاق تدين الرجال.[73] والى كونهن أحسن حالا من النساء الأغواطيات، باعتبار أن عين ماضي لم تشهد المأساة التي تعرضت لها الأغواط، ولم يقتحمها الاستعمار ويحتلها عنوة.[74]

أما بالنسبة للزينة فقد ذكر أن النساء يحطن أعينهن بالكحل وهو ما يمنحهما لونا أسود وتسريحة شعرهن يغلب عليها الجديلة أو الظفيرة أما الحلي التي تتزين بها النساء فذكر الأساور والمشابك والأبازيم والخلاخل والأقراط.[75]

كما تحدث عن لباس الفتيات الصغيرات وبين أنهن يلبسن كأمهاتكن، ولكن أسوء قليلا، في مكان العمامة يضعن مناديل صغيرة على رؤوسهن أو قبعات من سعف النخيل، ولديهن نفس تسريحة الأمهات، وأحيانا لديهن شعورا قصيرة مصبوغة بالأحمر، وقد يكون شعر الفتيات محلوقا تماما.[76]

وبالنسبة للباس الرجال فقد ذكر فرومنتان أن لباس الرجال بسيط يتكون من ثلاث قطع، قميص تحتي وحايك يؤطر الوجه ويدور حول الجسم مرتين أو ثلاث مرات، وعمامة تغطي الرأس كل هذا لونه أبيض من القماش السميك وبطيات كبيرة، يمسك الحايك فوق الرأس بخيط من الصوف الرمادي، يجمع هذا الزي بين البساطة والفخامة، كما يضع الرجال مظلة من سعف النخيل لاتقاء الحر وللزينة، كما يلبس الرجال القندورة والقشابية والبرنوس، إضافة الى السروال العريض التركي، وأحذية طويلة تصل الى الركبة.[77]

**6.3. نظرة فرومنتان للمظاهر الدينية بالأغواط:**

صادف فرومنتان شهر رمضان عند زيارته للأغواط، وقدم وصفا مفصلا لحالة السكان وهم صائمون في الحر الشديد قائلا:" الصوم في هذا الحر الشديد قد انتزع

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

من سكان الأغواط ما تبقى من دم وجهد، فكأنه قوة مدمرة تظهر آثارها في الشوارع الفارغة والدكاكين المغلقة والمقاهي المهجورة، كما تظهر على هؤلاء العرب الشاحبين المرضى الذين ينامون طول النهار، ولا يستفيقون الا مع أذان المغرب ليأكلوا ويشربوا".[78] وأضاف أيضا:" ثم يخرجون الى المقاهي والشوارع ليسهروا ويسمروا ويتسلوا حتى ساعة متأخرة من الليل".[79] وهذ ما يتضح من قوله:" في رمضان ينام الناس طول النهار، وعند الفجر يعلن عن بداية الصوم بطلقة مدفعية، وفي المساء تكون الأنظار موجهة لانتظار المدفع لإعلان موعد الإفطار، وبعد ذلك تكثر الحركة ويتحول الليل الى نهار".[80]

حينما يتعرض الكاتب للحديث عن صوم سكان مدينة الأغواط لرمضان في شهر جوان، وما يعكس ذلك من تحمل كبير للجوع والعطش في ظروف اجتماعية ومناخية قاسية، بفضل ما يتحلون به من ايمان قوي، وتمسك شديد بالدين، يحاول أن يقنع القارئ الأوروبي بأن الإسلام أصبح ديانة فارغة من كل محتوى إيجابي، بل أصبح في هذه البيئة طاقة خامدة لا تولد الا الجمود والراحة الأبدية.

و من المناسبات الدينية التي سجلها فرومنتان، هي انتظار سكان عين ماضي لظهور هلال عيد الفطر، فمنذ دخوله القصر، رأى عند حلول الظلام أن شرفة منزل التجاني كان يشغلها عدد قليل من الناس، الذين كانوا ينظرون الى نفس الجهة، و هي جهة الجبل، ورغم أنهم رأوه يدخل مع مرافقه، و لكن لم يثيروا انتباههم، لأن أعينهم كانت معلقة باتجاه غروب الشمس، وقد استمر انتظارهم و مراقبتهم لظهور الهلال حتى بعد أن تناول وجبة العشاء، فالذين رافقوا القايد في استقباله، رأى أنهم كانوا منشغلين أيضا بالنظر الى السماء، بانتظار رؤية هلال العيد الذي ينهي رمضان، وذكر أنه لدى مغادرته الأغواط مساءا أعلن المدفع عن نهاية الصيام، وكانت

الاستعدادات قائمة لاستقبال العيد، كل المطابخ كانت تدخن، و كانت رائحة المدينة مليئة باللحم، و قيل له أن بني الأغواط قد رأوا الهلال، بينما في عين ماضي كان الصيام ما يزال مستمرا، و بعد مدة مد القايد يده ليظهر الهلال الرفيع، بلونه الفضي في السماء الصافية، و هذه علامة على نهاية الصيام، ثم أعلن عن نهاية الصيام لسنة 1269هـ ليعلم به كل السكان[81].

**6.3. نظرة فرومنتان للطقوس المتعلقة بالأولياء والصالحين:**

تعتبر أضرحة الأولياء والصالحين من أهم معالم العمارة الدينية المنتشرة في منطقة الأغواط، وهذا ما لفت انتباه فرومنتان خلال زيارته لمنطقة الأغواط فمنذ وصوله الي منطقة سيدي مخلوف[82] تحدث عن قبة المرابط سيدي مخلوف[83] التي تحتوي جثمان هذا المرابط.[84] وفي مدينة الأغواط رأى ضريح الولي سيدي الحاج عيسى[85]، ووصفه بأنه عبارة بناء مكعب من الجبس الأبيض بقبة مخروطية الشكل، ونتوء مسنن في كل زاوية، أما داخل البناء فمطلي بعناية ومزخرف بكتابات عربية كما تحدث عن أثر الحملة على الأغواط على هذا المكان المقدس وكيف أن قبر هذا الرجل المقدس أصبح مسرحا للمعركة الرهيبة، التي نتج عنها احتلال الأغواط، حيث تم وضع المدفعية في قبته وتعرضت للقصف والتخريب حتى أن جدرانها الداخلية التي كانت تلمع بالطلاء ومزخرفة شوهها الجنود الفرنسيون بالسكاكين.[86]

اضافة إلى ضريح الولي "التجاني" بعين ماضي، المحاط بدار بوزنات منقوشة ومطلية ومذهبة والضريح يعتبر تحفة فنية توحي بالأبهة والفخامة، صنع في تونس ثم نقل إلى عين ماضي وركب قطعة قطعة.[87]وقد شاهد فرومنتان خلال زيارته لقصر عين ماضي احدى الزيارات لضريح التجاني ووصف ما رآه قائلا: "خلال الزيارة يدخل الزوار من النساء والرجال في موكب كبير الى المسجد ثم الى الضريح في هدوء كبير وبدون أحذية يبدو عليهم الايمان والتقوى والفرح في الوقت نفسه ملابسهم نظيفة من الصوف الخشن ويضعون الحايك فوقها والمسبحة في أيديهم. ثم تقصد النسوة

مع الفتيات الصغيرات المرابط بجدية وورع التماسا للبركة". وعادة في مجتمع الأغواط لا تخرج المرأة من البيت الا في بعض الحالات المحدودة منها زيارة الأضرحة.[88]

**4. خاتمة:**

بعد هذه الدراسة يمكننا القول أن مؤلفات المستشرقين الفرنسيين باختلاف مهامهم في الجزائر تكتسي أهمية في تدوين تاريخ الجزائر، عموما والتاريخ المحلي لكل منطقة من الجزائر خصوصا، نظرا لأن هؤلاء المستشرقين انتشروا في كل أنحاء الجزائر، وعاشوا بين سكانها ودرسوا عن كثب كل ما يتعلق بالمجتمع وخصائصه. الا أن الباحث مكلف بقراءتها بعين الناقد المتفحص، كون من كتبوها لم يتخلوا عن ثقافتهم وأفكارهم الأوروبية القائمة على النظرة الاستعلائية الاحتقارية لكل ما هو شرقي، ومنهم أوجين فرومنتان الذي جاء نصه معبرا عن انتماءه الثقافي والحضاري، فكانت نظرته لمجتمع الأغواط مبنية على الأحكام المسبقة والتصورات الخاطئة، التي تميزت بها أوروبا عن الشرق ناهيك عن تبريره للاحتلال الفرنسي للجزائر. دون أن ننسى أن كتابه يعد مصدرا هاما دون تاريخ المنطقة في الفترة التي زارها فيها .

**5. الهوامش:**

[1]- James Thompson et Barbara Wright **la vie et l'œuvre D'Eugene Fromentin**,ACR Edition https://books.google.com/?hl=ar ".6-7

[2]- عيسى عطاشي، **صورة الجزائر في أدب الرحالة الفرنسي أجين فرومنتان**، مطبعة بن سالم، الأغواط،2010، ص19.

[3]- نفسه، ص20

[4] Fromentin .E, **Sahara et Sahel,**Libraire Plon.E.Plon.Nourrit et Cie,Imprimeurs Editeurs,Paris,1886,p. V-VI.

[5] - Ibid,pV.

[6]- بنيت الأغواط على الضفة اليمنى لوادي مزي، في موقع استراتيجي و جغرافي متميز، فهي تقع وسط واحة من النخيل، و يمتد النهر على طول الواحة، بحيث يقسمها الى قسمين، و حتى المدينة تقع على

تلتينفي منتصف سهل رملي، و هي محمية بسور حجري، تعتبر المدينة الرئيسية بالنسبة للقصور المحيطة بها، تحتوي واحتها على حدائق، تنمو بها أشجار النخيل، و الأشجار المثمرة و الخضروات، و تعتبر هذه الحدائق ثروة سكان الأغواط.أنظر:

Paul Soleillet, **l'Afrique Occidentale : Algérie, Mzab, Tildikelt**, Imprimerie de F. seguin Ainé, 1877, P5

[7]- عين ماضي مدينة قديمة جدا، بنيت على سفح تلة تتدفق منها مجاري لا تنضب، و التي تسقي الحدائق، و هي مقر العائلة التيجانية، تبعد عن الأغواط ب60كلم، محاطة بسور عالي، بها بابان واحد من الشرق و الآخر من الشمال الغربي و خارجه توجد الحدائق المحاطة بالأسوار. أنظر: دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، تر: قندوز عباد فوزية، غرناطة للنشر و التوزيع، الجزائر،2013،ص54.

[8]-بنيت تاجموت على قاعدة تدفق وادي مزي، تم انشاؤها من طرف مهاجرين من الأغواط، وهم عرب يوسف طردوا بعد حروب داخلية سنة 1666م -وغادرو قصر بادله أحد قصور الأغواط قبل توحيدها- و تاجموت قصر مبني جيدا مع حدائق جميلة تقع على بعد 28 كلم شمال شرق عين ماضي، و 40 كلم شمال الأغواط، حدائقها محاطة بسور، بها بابان يعلوهما سور ذو شرفات صغيرة، و يملك بها أولاد سيدي عطاء الله مخازن للحبوب. أنظر:

Marey Monge, **Expédition de laghouat, dirigée aux mois de Mai et juin,** l'imprimerie de A. Bourget Alger,1846, p38.

[9] - Eugene Fromentin, **un Eté dans le Sahara**,Librarie Plon Plon-Nourrit et Cie, Imprimeurs-Editeurs, Paris,1904,p185-186.

[10] Ibid,p216-217.

[11]- جاء الأرباع الى منطقة الأغواط خلال القرن 17م من الزاب بعد أن طردهم أولاد جلال من هناك ووصلوا أولا الى جبل بوكحيل لتوفر المراعي به و كانوا عبارة عن تجمع يضم أربع قبائل هي المعامرة الحجاج أولاد صالح و أولاد زيد و بعد وصولهم الى الأغواط انظمت اليهم قبائل أخرى حتى أصبحت قبيلة الأرباع تتكون من عشر قبائل أولاد سيدي سليمان، أولاد بن شاعة (الحرازلية)، الحجاج ،الزكازكة، المعامرة، المخاليف الجرب، العبابدة صفران، أولاد صالح، أولاد بوزيان، أولاد سيدي عطاء الله أنظر:

Augustin Bernard**, les Confins Algéro-Marocains,** Imprimeur Editeur**,** paris, 1911,p81.

[12] - Fromentin .E,Sahara et Sahel,op.cit,p154.

[13] - Eugene Fromentin, **un Eté dans le Sahara**,op.cit, p**216- 217**

[14]- يعرف أيضا بالهودج ويدعى محليا الباصور هو محمل يصنع من أغصان النباتات له قبة مغطاة بقطع من النسيج الزاهي الألوان ويزين بشارشب في نهاياته يوضع على ظهر الجمل أثناء السفر ليركب فيه السادة والنساء لحمايتهن من عيون الغرباء وحرارة الشمس. أنظر:

De Doisroger.A, **le Sahara Algerien Ullustre Souvenires de Voyage Note et Croquie1886-1887**,Evnente chez M.G Rolla. Paris,1887, p4.

[15] - Eugene Fromentin, **un Eté dans le Sahara**, op.cit, p217.
[16] - Fromentin .E,**Sahara et Sahel**, op.cit, p159.
[17]- هو الولي الصالح "سيدي عطاء الله" كان في مراكش فآباءه في البداية استقروا في عين الحوت بتلمسان بعد قدومهم من المغرب واستقروا نتيجة هجرات جماعية على مر الزمن قصور توات و بالتحديد قصر تالة و عاشوا حياة ترحال مروا خلالها بمختلف مناطق الجنوب الغربي الجزائري، و قد استقر والد هذا الولي وهو "سيدي محمد العابد" بالأبيض سيدي الشيخ في مطلع القرن 16م، و في القرن 17م قدم ابنه سيدي عطاء الله الى قصر تاجموت و ذاع صيته لتقواه و حكمته و تقرب منه أهلها، و دفن شمال قصر تاجموت للمزيد أنظر:

محمود الأخضاري، **الولي سيدي عطاء الله بن العابد**: تاريخ رحلة، مطبعة رويغي، الأغواط بالجزائر،2017،ص ص27 ،37 ،87.

[18] -- Fromentin .E, **Sahara et Sahel**,op.cit,p164.
[19]- القصوريون هم الذين يسكنون في القصور في المدن الصغيرة أو القرى التي بنيت في الواحات حيث يعملون في زراعة الواحات و يمارسون التجارة مثل قصور الأغواط خلال القرن 19م و هي : الحويطة، عين ماضي، العسافية، تاجموت، قصر الحيران أنظر:

C.Gortambert, **Géographie Universelle**, de Malte-brun , T5, Boulacer et le grand Libraires –éditeur, Paris,(s.d),p51.

[20]-قامت علاقات واسعة بين سكان القصور والقبائل البدوية و السبب الذي جعلهم يتعاونون هو قوة الظروف التي يعيش فيها كل منهما و السبب الذي جعلهم يتعاونون هو قوة الظروف التي يعيش فيها كل منهما اضافة الى اختلاف مهارات البدو و المستقرين، لهذا حاولا استغلالها لصالحهما معا، كما أنهما يتجاوران و يتعايشان مع بعضهما البعض، فسكان القصور بحاجة للبدو الرحل، و لا يمكن للبدو الرحل الاستغناء عن سكان القصور، و تلك هي القاعدة المتينة التي أنبنى عليها هذا التكامل على الاطلاق. أنظر:

فيليكس جاكو، **حملة الجنرال كافنياك في الصحراء الجزائرية خلال شهر أفريل و ماي 1847**، تر: حليمة بابوش، دار الرائد، الجزائر،2013،ص269.

[21] - Fromentin .E, **Sahara et Sahel**, op.cit ,p81,93,101.125
[22]- يقيم أولاد سرغين في الحي الغربي ويتكونون من البدارة وجماني وأصلهم من الأغواط كسال، وأولاد سكحال وأصلهم من أولاد زيد من الزاب، وثليجات الذين قدموا من جنوب تونس أنظر:

E.Mengin, **Note sur l'histoir de laghouat**, Revu African, v38, Annee 1894, A.Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1894,p382.

[23]- الأحلاف يسكنون الحي الشرقي، ويتكونون من أولاد أخريق الذين قدموا من فرجيوة ناحية قسنطينة، والمغاربة القادمون من المغرب، وأولاد عبد الله وأولاد سالم القادون من قورارة، وأولاد بوزيان

وهم فصيل من قبيلبة الحجاج. أنظر. ibid,p 382

[24] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p82.
[25] -ibid ,p94.
[26] -ibid,99.
[27]-خلال القرن 19م شكل اليهود في مدينة الأغواط مجموعة عرقية متميزة، وقد وصلوا اليها قبل الاحتلال الفرنسي بوقت طويل، قادمين اليها من مزاب والجزائر وفقيق وسوف، أقامت العائلات اليهودية التي وصلت الى الأغواط أولا في حي الأحلاف وهذه العائلات هي: (رمو، بارتوش، سبان، خليف). أما أولئك الذين جاؤوا لاحقا من المغرب فانضموا الى أولاد سرغين وهي عائلات:( رمو، لالو، زنو، عقو، بيه) وصل الأخيرين حوالي 1730م، و عائلة "كاكو" الذين جاؤوا من قمار عاشوا قرب (بارتوش و سبان) عاش جميع اليهود تقريبا في مدينة الأغواط، في المنطقة الواقعة بين المسجد الكبير وساحة راندون وذلك في حي خاص بهم يدعى حي اليهود (زقاق اليهود). أنظر:
George Hirtz, **L'Algérie Nomade et Ksourienne 1830-1954,** Diffusion, P. Tacussel, (s.d).p134.
[28] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p94.
[29] - ibid,p94.
[30]- كانت تجارة الرقيق منتشرة قبل وصول الفرنسيين إلى الصحراء و هم عادة من الزنوج الذين تجلبهم القوافل التجارية من السودانو هم إما يباعون محليا للعائلات الثرية أو شيوخ الطرق الصوفية، أو يباعون في التل و نادرا ما يبيع المالك عبده، يعملون في الزراعة في الواحات و في الرعي، و هناك فئة الحدادين الذين أصولهم في كثير من الأحيان غير واضحة و هذه الفئة ضرورية نظرا لمهاراتهم اليدوية. أنظر:
Claud Bataillon et Autres, **Nomade et Nomadisme au Sahara**, Imprimerie R. Oldenbourg raphische Betriebe Gmbh,Munich,Paris,1963, p29-30.
[31]- Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit ,p154.
[32] -ibid, p75,76,79.
[33] - Eugene Fromentin, **un Eté dans le Sahara**,op.cit, p**80.**
[34] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p174
[35] - Eugene Fromentin, **un Eté dans le Sahara**,op.cit, p276
[36] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p174-175.
[37] - Eugene Fromentin, **un Eté dans le Sahara**,op.cit, p18-19.
[38] -ibid, p80
[39] -ibid,p242.
[40] - ibid,p242.
[41] - ibid,p243.
[42] - Eugene Fromentin**, un Eté dans le Sahara**, op.cit, p101
[43] -ibid,p175.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

[44] -ibid,p166-175.
[45]- Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p154.
[46] -ibid,p113.
[47] -ibid,p115.
[48]-ibid,p139.
[49] - Eugene Fromentin**, un Eté dans le Sahara**, op.cit, p80.
[50]-ibid, p168.
[51] -ibid,p167.
[52] -ibid,p169.
[53] Ibid,p159-163.
[54] - Eugene Fromentin**, un Eté dans le Sahara**, op.cit, p101.
[55]-Ibid,p114.
[56] -ibid,p165
[57] -ibid ,140.
[58] -ibid,p174.
[59] -ibid,p101.
[60] -ibid,p165.
[61] -ibid,161.
[62] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p111.
[63] - Eugene Fromentin**, un Eté dans le Sahara**, op.cit, p163.
[64] -ibid,p174.
[65] -ibid,p163.
[66] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**,op.cit,p104.
[67] - ibid,p118.
[68] -ibid,p102.
[69] -ibid,pp PP: 161, 169, 170.
[70] -ibid,p174.
[71] - Eugene Fromentin**, Sahara et Sahel**,op.cit,p90.
[72] -ibid,p97.
[73] - Eugene Fromentin**, un Eté dans le Sahara**, op.cit, p236-237.
[74]- ibid,p231.
[75] -ibid,p90,98.
[76] -ibid,p98.
[77] -ibid,p106.
[78] - Ibid, PP180 et 193, 194.
[79] - Ibid, P180
[80] - Eugene Fromentin**, un Eté dans le Sahara**, op.cit, p133.
[81] - Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**, op.cit175-176.

[82]- المرابط سيدي مخلوف الذي جاء ليستقر في الجبل الأزرق شمال الأغواط حوالي القرن15م من الساقية الحمراء.أنظر:

George Hirtz, op.cit ,p142

[83]-عبارة عن بناية تضم قبر الولي كما تضم قبور أسرته وبعض مريديه، اضافة الى مكان آخر مخصص للوكيل الذي يعمل على العناية بالضريح كإبعاد الرمال والحجارة عن المكان التي تنقلها الرياح و تدخل الى الضريح، و يصون القبة من كل ما قد يسوؤها كما يجمع الهدايا أو ما يعرف بالزيارات التي يقدمها زوار الضريح.أننظر

C.Trumelet, **Histoire de L'Insurrection dans le Sud de la Province DAlger en1864**,Typographie Adolphe Jourdax Imbrimeur –libraire,Alger,1879,p76

[84] -ibid, p64.

[85]- قدم إلى المنطقة سنة 1698م قادما من تلمسان، جاء في البداية إلى قبيلة الأحرار، ثم وصل إلى قصر بن بوطا حيث استقر إلى الأبد ، و نظرا لمعرفته و تقواه كان معروفا و مشهورا بين القصور المجاورة و حتى بين البدو الذين يرعون بقطعانهم حتى وادي مزي، و كان موضع ترحيب البدو و لكنه اختار الإقامة في قصر بن بوطا،و في هذه الفترة كانت التجمعات المحاذية لوادي الجدي من جراء زحف البدو الرحل عليها و تخريبهم و نهبهم لكل ما وصلت إليه أيديهم أن كانوا يعانون حالة مأساوية، و أمام هذا الوضع أشار عليهم الولي الصالح ببناء سور يحميهم من الغزات، و دعاهم إلى ضرورة تكوين مركز واحد قابل للمقاومة و يمكن أن يضم العائلات و الممتلكات يتحمل هجومات البدو و بالتالي يعتبر المؤسس الحقيقي لقصر الأغواط للمزيد أنظر:

Melia jean, **Laghouat ou les maisons entourées de jardins** .Ed, Plan Nourrit et Cie, Paris, 1923, p28-29.

[86]- Eugene Fromentin, **Sahara et Sahel**, op.cit ,p83-86.

[87] - E.Fromentin, **Un été …**op.cit, p236

[88] -ibid,p179.